غب النوى ...

للآنسة الفاضلة (المطوقة)

مضيتَ ؟ إلى أين ؟ هلاّ تعود   إليّ ، إلى روحيَ اللاغب
حنانك ، ضقتُ ، وضاقت حياتي
يهدهدنا الصدى المرق اللاهب
بأشواق العانيات تزلزل صدريَ في عنفها الصاخب
حنانك ، قلبي يذوب وراءك ، أوّاه من قلبي الذائب
تلفّتْ ، وراعِ بقاياه تذوي   وتفنى مع الأمل الغارب

مضيتَ ؟ وكيف ؟ ألا رجعة   ترد إلى القلب دنيا رؤاه ؟
لقد اقفر الكون في ناظريّ   وغشى الظلام مجالي ضياه
وكيف أحس جمالَ الوجود   ووجهك عني توارى سناه
فما أقبح العيش يا موحشي   ويا ما أشد سواد الحياه
وأنت بعيد بعيد هناك ...   وقلبي وحيد يعاني أساه

مضيتَ ؟ فيا لحنيني إليك   ووا هاً لأمسي القريب البعيد
زمان أسير بدرب الكروم   وللدرب نفح جنان الخلود
وتشرد طرفي ويطوى المدى   ولقياك غاية طرفي الشرود
وفي القلب نار جموح الوقود   ينادي بها الشوق: يا نار زيدي
وطرفي قرير بذاك الشرود   وقلبي سعيد بذاك الوقود

ويفجأني وقع خطو بعيد   ورائيَ ، أصغي إليه طويلا
ويهتف قلبيَ : هذي خطاه   أرى في صداها عليه دليلا
خطى العنفوان، خطى الكبرياء   تنم عليه عظيماً نبيلا
وتختطف الروحَ غيبوبةٌ   وقد رحتَ تدنو قليلاً قليلا
وأغرق في حلم ساحرٍ   أحال حياتي فناً جميلا

وفي غمرات الذهول العميق   تطالعني القامة الفارعه
فأشخص ، ثم أغضّ حياء   وأكبر من لحظي الجائعه
وأبدي جمودَ الخليِّ كأن لم   ترج دمي الطلعة الرائعه
وتحت جمودي اضطراب عصوف   أداريه منضمة وادعه
وتحت جمودي من العاطفات   أعاصير جارفة دافعه

وتهب عيناك وجهي وقد   عرا مهجتي منهما ما عرا
فيمحى بعينيّ كل الوجود   وتمحى بعينيّ كلُّ الورى
وما لفتة النسر يا فتنتي   تطلع من عاليات الذُرى
وسلّط لحظاً على إلفه   عنيفَ التوقد ، مستكبرا
بأروع منك وعيناك فيّ   أوارٌ تلظى وسحر سرى

وتمضي ، وأمضي مع العابرين   وما بيننا غير نجوى النظر
وطيف ابتسام على شفتيك   ووهجُ هيام بعمق استتر
وقد هبط الليل حلوَ النهوض   خلوبَ الرؤى، عبقريَّ الصور
وماجت مع الريح خضر الكروم   مشعشعةً بضياء القمر
وفاض الوجود شعوراً وشعراً   وذاب من الوجد حتى الحجرا

سل الدرب كم جئت غبَّ النوى
أجرُّ الخطى في الغروب الحزينْ
وحولي من الذكريات الخوالي   طيوف تثير لهيب الحنين
أخاف تكرُّ عليها الليالي   وتدفن تحت ركام السنين
فيبسط قلبي جناحيْ هواه   عليها ويحنو حنوَّ الضنين
وأنت بأعماق روحي صلاة   يسبح باسمك روحي الأمين

مضيت ؟ إلى أين ؟ هلاّ تعود   لروحي الهيف ، لقلبي الغريب ؟
توحدتُ بعدك يا موحشي
على الدرب ، درب الكروم الجديب
أسير إلى غير ما غاية   وكفي على جرح قلبي الخضيب
وفي مقلتيّ غيوم حزاني   وفوق جبيني وجوم كئيب
وصمتك في خاطري ما ثل   يهيج الحنين ويذكي اللهيب

إلى أين؟ رحماك يا ابن الصحارى   وبرد ظماء الفؤاد الصديْ
فما برمال عطاشى تمنّتكَ   كهذا الغليل اللج العنيد
إلى أين ؟ يا لك طيفاً ألمّ   وعانق روحي بحلم سعيد
ويا لك وهمَ سراب تألق   في قفر عمري لقلبي الشريد
حنانك ، عد ، كيف أحيا الحياةَ
وأنت هناك بعيد ، بعيد

(المطوقة)